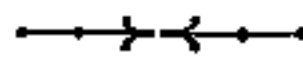


— يا سيدي العزيز اعتدل في اظهار حماسك واعلم اني مبتهج كل
الابتهاج باختراعي هذا الطفيف . فليس في زيارتي لك ما يجعلك تفتخر
متباهياً لأنني صرت أتهرم تهراً يجب الي الموت منذ الحين الذي أصبحت
فيه شجاعاً وهماً ولم أعد أبيع قصديراً ولا تهراً ولا عاجاً واضطرت على
هذه الارض التي يطأ فيها المسيوستاني عن بعد موطني قديماً الى
التحدث من حين الى آخر مع بعض العلماء او الفضولين الذين يهمهم
أمري . والآن يخيل الي اني سامع صياح الديك فاودعك وانصح لك
بان تسعى لحشد الثروة لأن الخير الوحيد في هذا العالم ملاكه الغنى والقوة
قال هذا الكلام وتوارى عن نظري وكانت ناري قد خمدت وبدأت
أشعر ببرودة الليل وصداع أليم

الباس المحويك



شيء عن الفن

لقد عرف الانسان الفنون قبل ان عرف العلوم ، لأن مخيلته
اشتغلت قبل تنبه افكاره . الخيلة ضيف تائه على الارض وهي اقوى القوى
الادبية . حركتها لا تبطل ابداً في الحياة ، بل هي كالقلب تشتغل دائماً
وعملها مستمر متواصل في النوم وفي اليقظة . فيها تحفظ تذكارات الماضي
وآثار ما تنقله اليها الحواس من مناظر واصوات وانغام وروائح وتأثيرات ،
ومن مزيج هذه التذكارات والآثار تتكوّن اصول الفنون ، فيأتي التصوير
والابتكار عاملاً في توسيعها ، وزيادة فروعها واتقان كمالاتها

اذا انت عدت بافكارك الى تاريخ الأعصر الغابرة تجد للفن المكان الاول في عظمتها ، ولا ترى للعلوم إلا زاويةً حقيرة في اسفار المنشئين وتواريخ المفكرين . اما الكليات الغربية التي تأسست في القرن الحادي عشر فلم تكن تشغل الطلاب إلا بالشعر القديم والاحاديث الحربية وتواريخ الآداب المختصة بشعر شعوب العالم . فقد كان التلاميذ يدرسون اللغات اللاتينية ، واليونانية ، والعبرانية ، وربما العربية والآشورية ايضاً ، او غيرها من لغات الشرق القديم ، بدلاً من الطبيعيات والكيميا والهندسة . ولم يدرسوا من تأليف الأقدمين إلا اشعارهم وتواريخهم وفلسفتهم ، ضارين صفحاً عما كتبه بعضهم في الرياضيات

على ان العلوم اخذت في الانتشار رويداً رويداً منذ القرن الخامس عشر . فتعددت الاكتشافات ، وزادت الارباح ، وتكاثرت المداخل الآلية فانصرف الفكر البشري الى العلم التجاري ، وامسى الفن شهيداً تقام له هياكل العبادة في ارواح الأفراد المفكرين من البشر . فالقرن العشرون الذي ندعوه عصر المدنية والنور ليس إلا عصرًا ميكانيكيًا تجاريًا ...

قال رُسكن الناقد الفني الكبير : « كل شعب يرتقي عنده الفن الى ما يقارب درجة الكمال تسقط مملكته وتلاشى عظمته . »

لست ادري اذا رأيت في حياتك صورة رُسكن ، ايها القارئ اللبيب . اما انا فقد رأيتها ! وكثيراً ما انظر اليها فاحاول تف شعر لحية عند ما اذكر جملة هذه

اني اجهل ايّ عاطفة دفعته الى كتابة هذه الخاطرة القاسية ،
ولست ادري كيف يفسرها لو كان حياً . ترى كيف يمكننا ان تقدر
قدر المصريين لو لم تكن لدينا بقايا هياكلهم وتمائيلهم وتقوشهم ، ونبوغ
اليونان ان لم يكن بأدابهم وفنونهم ، وعظمة الرومان ان لم يكن بفلسفتهم
وشعرهم ؟ ؟

واذا قابلت الشعوب الآتية بين هذه البدائع الفنية القديمة وبين
آثار اجيالنا الحاضرة ، كبرج ايفل مثلاً ... ألا تظن انهم سيحكمون
باننا ، نحن ابناء الحاضر ، سليقة ابن نوح الملعون من ابيه خلقنا كي نكون
عييد ابناء عمينا المباركين ، ابناء القرون المنصرمة ؟ ..

يقول پول بورجه احد اعضاء الاكادمية الفرنسية « اثنان يفهمان
الجمال الفني : العالم الراقي والفلاح الساذج . وبين هاتين الطبقتين ،
طبقة البشر العادية وهي كثيرة العدد ، ضيقة الفكر ، قاصرة المدارك ،
باردة الروح » . ثم يأتي رُسكن ذو اللحية المنتفة قائلاً : « ان الفضيلتين
اللازميتين لمحبة الفن هما الحنان والصدق » . وكلاهما محق ، بل ان كلام
الواحد منهما يفسر فكر الآخر .

يعني رُسكن ان كل مصوّر ، او شاعر ، او موسيقي ، او نقاش
يجب أن يكون سريع التأثر ، رقيق العواطف ، دقيق الملاحظة ، صادق
القلب أهلاً لأن يكون ترجمان الروح ، وناقل بدائع الاحلام من عالم
الاهام الى عالم الوجود والافادة . وهو يشترط في الشاعر والمصوّر
الحنان قبل الصدق لأن الحنان عاطفة طبيعية ثمينة ، واما الصدق فهو

عادة جميلة يكتسبها الانسان بالتربية الحسنة، والدرس، ومعايشة الصالحين،
ومناجاة الطبيعة . فلا تبحر هاتين الفضيلتين بقوتهم العظيمة الا في فؤاد
العالم المفكر وفي فؤاد الفلاح الساذج ، والاثنان اخوان !

أجل ! لقد احتضنت روح الانسان الفنون الجميلة منذ فجر المدنية ،
لكن ذاك الارتعاش الطاهر لم يعد مالكاً على قلوبنا . لقد تلاشت افكار
آبائنا العظيمة وتحولت قوتهم في الابداء الى اقتدار على اختراع الآلات
المتنوعة ، والجهازات الغريبة . وفي هذه وفي تلك من الاختلال بقدر ما في
أجسام البشر من الاختلاط والتناقض . واما الغرض من كل هذه
الاختراعات المذهلة فهو ينقسم الى قسمين : الاول خدمة احتياجات
الانسان الجسدية ، والثاني ، قتله بسرعة وسهولة . . . !

ولكن العلوم الراقية المجردة عن اطماع التجارة والارباح ، كالتي
انعكف على اتقانها غيلوس ونيوتن وبسكال فنحن نضعها في صف المعارف
الثانوية . . . لأن حب المضاربة والمكسب يصرعنا كما تصرعنا بهرجة
الاكتشاف والاختراع

ألا تظن ان ذلك المفكر العظيم نيوتن الذي استنتج من كيفية
سقوط التفاحة قاعدة الناموس الابددي الذي يدير حركة العوالم الهائلة -
ألا تظنه ناشئاً من نبت أفضل وأجل من نبت تكون فيه فكر مخترعي
الاجراس الكهربائية ، والعجلات والفونوغرافات ؟ ألا تظن ان هذه
الاختراعات الدقيقة ، الجميلة في ذاتها ، تبرهن على دناءة الفكر المصري ،
وسقوط النفس البشرية من اوج الجمال الى هوة التجارة ، حيث تتطلب

معاملة الاسواق غشاً وخداعاً وسرقة وخبثاً وكذباً ؟ ..
 لست أدري أنخطئة أنا ام محقة ؟ لكن هذه الاكتشافات التي
 تهم الجمهور معرفتها ، لا أظنها تؤثر في ارواح الافراد كما تعمل فيها صور
 الفكر القديم وظواهره الفنية . ان هؤلاء الافراد يؤثرون على بلاده
 الترفه الميكانيكي شرف العمل الروحي . فهم يظنون مدى حياتهم عبيداً
 لأحلام الجمال اللطيفة ، وذوي الامزجة السريعة التأثر حيث تختلط الحدة
 بالدعة ، والضحك بالغضب ، والسكوت بالسرور ، والتأملات بالخيالات
 الجميلة

م

في جنائن الغرب

(حلاية جميلة)

هي فتاة الريف البعيدة عن عالم الجمال الاصطناعي ، نظرة من عينيها
 البراقتين تغير وجه الناظر اليها ، هي تعرف ان نظرة الجميل خطيب
 صامت ينطق بمدح الفضيلة الا انها لا تبالي به ، فضائلها تؤثر السكينة
 على الضوضاء ، كأنها تجهل ما هي عليه من الجمال ، وما أودع فيها الرحمن
 من كمال

بطانة ثوبها — اي جسمها — أجل كثيراً من ظاهرها . لأنها
 وان كانت لا تلبس البز والارجوان فهي مزدانة بالطهر والعفاف — انهم
 به من حلة جميلة حاكها يد الصانع العظيم لا يد الانسان اللئيم